

سياسة التصنيع

وبناء الدولة صناعياً

من وجهة نظر الاسلام

اعداد

المهندس عطا ابو الرشته

سياسة التصنيع
وبناء الدولة صناعيا
من وجهة نظر الإسلام

اعداد
المهندس عطا ابو الرشته

محاضرة القيت في مؤسسة
عبد الحميد شومان

٢٨ صفر ١٤١١ هـ

عمان ١٨/٩/١٩٩٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منذ ان خلق الله الانسان ووجد على الارض وهو يحاول اشباع حاجاته بالمواد المخلوقة في الكون حوله ، وكذلك يحاول الحفاظ على امنه وسيادته وبقائه سواء في حالة الهجوم او الدفاع باستعمال المواد الاولية حوله .

فهو يسكن في الكهوف والمغاور ويأكل ويشرب من ثمار الشجر ومياه الينابيع والآبار والامطار ، ويلبس من اوراق الشجر واغصانها وامثالها ثم لما اتسعت حياته وتنوعت حاجاته وتقدمت تجاربه بدأ يحاول تحسين المواد الاولية حوله لتفي بأغراضه على وجه افضل فحاول استعمال بعض الحجارة والطين والاششاب لبناء بيت مناسب كما حاول استعمال بعض الادوات المشحوذة من الحجارة والاششاب لتكون سلاحا له . وهكذا استمر في تحسين وتحويل المواد الاولية لأشكال تخدم اغراضه . وباستعمال المعلومات السابقة لديه عن الواقع حوله ونقله بحواسه الى دماغه ثم ربط هذه الامور معاً استطاع ان يتقدم في جمع معلومات اوسع واستخدام المواد الاولية استخداماً أجود بتحسين وضعها وتحويله الى وضع اخر . فمثلاً عرف الزراعة ولاحظ بدقة مواعيتها ومن ثم الفلك والحساب فتحول من جامع غذاء يلتقطه من حب وشجر وفاكهة وثمر الى منتج غذاء يكفيه ويفيض وكذلك عرف صناعة النجارة والاششاب وعرف انها لازمة لسقف بيته واشعال نار لدفته ثم استعمالها سلاحاً . وعرف صناعة النسيج والحياكة والالبسة مستعملاً في ذلك الصوف

والكتان والقطن وشعر الماعز ووبر الجمال والحرير وكذلك البسط والسجاجيد. ثم عرف البناء والعمارة والنحت والزخرفة والقصور والحصون وبناء السدود والقناطر وكذلك صناعة اللبن (الطين المجفف) والطابوق (الطين المشوي) لاستعماله كمواد بناء بديلة في الامكنة التي تقل فيها الحجارة .

مع تقدم حياته واتساع تجاربه تبين له الحاجة الى المعادن فاستخرجها واستخدمها في اموره الحياتية من حربية وزراعية ومنزلية وبدأ يحاول تحويلها الى اشياء نافعة. وكان من اوائل ما عرف من المعادن "الحديد" وعرف كيف يتم تصنيع خام الحديد المستخرج من منجمه وعرف كيف يصهره بطرق اولية كان يضعه في نقرة او اتون ويوقد النيران بكمية كافية لإذابة المعدن وتنقيته من المواد الغريبة العالقة به ثم بعد ذلك يقومون وتشكيله وتصنيعه الى سيوف ورماح ودروع وغيرها من الاسلحة او الى آلات استخراج المياه من الآبار او سكة محراث او اية آلة حديدية نافعة لاستعمالات الانسان .

ثم بعد ذلك عرف صناعة النحاس والبرونز والرصاص والكبريت والملح والذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان وبقية الاحجار الكريمة ، كذلك عرف صناعة الدباغة والحرف الجلدية ، وصنع الزجاج والورق ثم بعد ذلك عرف الكتابة .

وقد اصبحت معرفته بتحويل المادة الخام الى اشكال فيها نفع له ، اصبحت هذه المعرفة تدعوه لان يلاحظ خواص هذه المواد ومقاومتها للعوامل التي تتعرض لها هذه المواد عند الاستعمال. وهكذا بدأ يستعمل ما عنده من معلومات وافكار

حول هذه المعادن في عمل تجارب اولية علمية بسيطة تعتمد على التجربة والملاحظة والاستنتاج التي تؤدي الى ان يستفيد الانسان من نتائجها في تحسين استعماله لها .

وبذلك انتقل الانسان نقلة نوعية من استعمال الادوات الحجرية الى الادوات المعدنية . غير ان الانسان في جميع مراحل حياته، وفي جميع صناعاته واستفادته من المواد الاولية وتحسين اوضاعها او تحويل اشكالها اي تصنيعها الى صناعات جديدة، في كل ذلك كان يحكمه عاملان :

اولهما اشباع حاجاته والثاني الحفاظ على امته وبقائه وسيادته دفاعا وهجوما وبقي هذان العاملان يتحكمان في صناعة الدول والجماعات بعد ان عرف الانسان حياة الجماعات والدول، وكانت هذه الجماعات والدول تتنافس فيما بينها في من يتمكن من سد حاجاته والحفاظ على امته وسيادته بصناعات خاصة به لا يتوقف بقاؤها واستمرارها على جماعات ودول اخرى .

وكان هذا التنافس الصناعي قائما على تحقيق العاملين المذكورين، وكان على اشده بين الدول الكبرى عبر التاريخ وخاصة الدول الاولى في العالم، فقد كان فيما بين الفرس والروم ثم بينها وبين الدولة الاسلامية حين نشأت ثم بعد ذلك بين بريطانيا وفرنسا وروسيا والمانيا حتى الحرب العالمية الاولى ثم بين امريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا حتى الحرب العالمية الثانية ثم بعدها بين امريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا وقد تدخل في الصراع المانيا واليابان. ولقد كان العامل المهم في التنافس الصناعي يقوم على اساس المهارة البدنية والعقلية واما الادوات الاخرى

والالات البسيطة فكانت عوامل ثانوية فلقد كان الانسان ينتجها مستعملا مصادر من الطاقة الاولية كثيران الاخشاب لاذابة المعادن ثم الجهد العضلي في تشكيلها. واستمر ذلك حتى اواخر القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر حين عرف الانسان مصدرا جديدا للطاقة وهو البخار . وهنا حدثت طفرة في الصناعة فلقد كانت المصانع سابقا مقتصرة على المصنع اليدوي وحده فلما اهتدى الانسان الى استخدام البخار في تسيير الات اخذ المصنع الالي يحل محل المصنع اليدوي ولما جاءت الاختراعات الحديثة حصل انقلاب خطير في الصناعة فزاد الانتاج زيادة لم تكن تخطر ببال وغدا المصنع الالي اساسا من اسس الحياة الاقتصادية.

وحيث ان الطاقة هي عصب الصناعة فان الانسان كان كلما اهتدى الى مصدر للطاقة جديد اوفر واجود، كلما عظمت صناعته وتسارعت .

وقد كان اول ما اهتدى اليه من مصادر للطاقة النار من الاخشاب والنبات ثم الفحم وقوة البخار الناتجة بسببه واستمر الفحم مصدرا رئيسيا للطاقة حتى اوائل النصف الثاني من هذا القرن حيث زاحمه النفط، ففي منتصف الستينات اصبح النفط المصدر الأول للطاقة في العالم بعد ان ازاح الفحم الى المرتبة الثانية كما ان الغاز الطبيعي بدأ يساهم بنسبة اكبر في الطاقة العالمية .

فقد كانت نسبة مساهمة الفحم في ميزان الطاقة العالمي ٧٣٪ عام ١٩٣٨ وانخفضت الى ٥٩٪ عام ١٩٥٠ ثم الى ٤٠٪

عام ١٩٦٥ في حين بلغت مساهمة النفط من ذلك العام ٤٤٪ واستمرت مساهمة الفحم في الانخفاض حتى وصلت ٢٨٫٢٪ في عام ١٩٧٤ ثم انخفضت عن ذلك في الاعوام اللاحقة .
وفي الحرب العالمية الثانية وبعدها بدأ يظهر مصدر جديد وهو الطاقة النووية حيث عكفت الدول المتحاربة على كشف اسرار القوى النووية وتم اطلاق ذلك المارد الجبار من عقاله ومنذئذ والصناعات الذرية تتقدم بخطى ثابتة . وعلى الرغم من ان الطاقة النووية اكثر انواع الطاقة تركيزا اذ ان الطاقة الكامنة من كغم واحد من اليورانيوم لو استخلصت تعادل الطاقة الناتجة عن حرق ثلاثة ملايين كغم من الفحم، الا انه لا يتوقع ان تساهم هذه الطاقة باكثر من ١٠٪ من احتياجات الدول الصناعية وبالتالي فان البترول والفحم والغاز الطبيعي هي المصادر الاساسية للطاقة في الوقت الحاضر حيث ان نسبة توزيع مصادر الطاقة المستغلة حاليا تقارب النسب التالية :

بترول ٥٠٪ فحم ٢٠٪ غاز طبيعي ٢٠٪

طاقات اخرى بما فيها النووية ١٠٪

ولقد استغلت الدول مصادر الطاقة الجديدة في الصناعات الحربية والسلمية لانتاج سلع وادوات حربية تغطي العاملين المذكورين سابقا اشباع حاجاتها والحفاظ على امنها وسيادتها وكانت هذه الدول تتنافس فيما بينها للحفاظ على صناعتها محققة للعاملين المذكورين غير متأثرة ولا تابعة لغيرها، واستطاع عدد من هذه الدول ان يتقدم في الصناعات الثقيلة ونتاج الآلات والصناعة الحربية الهائلة ولان فكرة الرأسمالية هي البارزة على هذه

الدول فقد حاولت ان تبنى التقدم الصناعي في يدها وتمنع غيرها من الدول لان تكون دولا صناعية قوية لا تصنع مستلزمات اشباع حاجاتها ذاتيا ولا تصنع مستلزماتها الحربية ذاتيا كذلك بل حرصت على ابقائها تابعة لها في صناعاتها واستعملت اساليب خبيثة مباشرة وغير مباشرة رسمتها لهذه الدول بحيث لا تجد فكاكا منها فيصعب عليها ان لم يستحل ان تصبح هذه الدول دولا صناعية ما دامت تسير على المنهج الذي رسمته لها الدول المتقدمة. والان كيف تتقدم الدولة - اية دولة - صناعيا ؟. وكيف تفادى الاساليب الخبيثة التي تحيكها الدول المتقدمة لتجول دون ان تتمكن الدول الاخرى من بناء نفسها صناعيا ؟.

ان السياسة الصناعية تقوم على جعل البلاد من البلاد الصناعية ويسلك الى ذلك طريق واحد هو ايجاد صناعة الآلات أولا ومنها توجد باقي الصناعات اي ان يباشر أولا وقبل كل شيء بايجاد المصانع التي تصنع الآلات من موتورات وخلافها ثم بعد توفر الآلات من صناعة البلاد تؤخذ هذه الآلات وتصنع باقي المصانع .

ولا توجد طريقة اخرى لجعل البلاد بلادا صناعية الا بالبدء بصناعة الآلات أولا وقبل كل شيء ثم عدم القيام بايجاد اي مصنع الا من الآلات المصنوعة في البلاد .

اما القول بان ايجاد صناعة الآلات يحتاج الى وقت طويل فلا بد ان نبدأ بصناعة الحاجات الاساسية فهو قول غير سليم بل هو دسياسة يراد منها تعويق صناعة الآلات وصرف البلاد الى الصناعات الاستهلاكية حتى تظل سوقا لمصانع امريكا واوروبا،

كذلك فان القول ان صناعة الآلات تحتاج الى ايجاد وسط صناعي من مهندسين وعمال وقنيين وما شاكل ذلك فهو قول يقصد به المغالطة والتدليس لان استحضار العلماء من الدول الاخرى او ارسال الاعداد المناسبة من شبابنا لتعلم صناعة الهندسة الثقيلة وصناعات الفولاذ وما شاكلها سهل ميسور وفي متناول اليد اذا ما اعتبرت هذه المسألة في سلم الاولويات وبذل فيها الجهد والوسع .

ولهذا لا يصح ان يلتفت الى شيء من الصناعات الاستهلاكية وانا يحصر الاتجاه نحو ايجاد صناعة الآلات ليس غير.

والحقيقة انه لا علاج للدولة المتخلفة صناعيا الا بالثورة الصناعية والثورة الصناعية هي تسلم زمام رأس الصناعة ومنبعها وهي صناعة الآلات بعملية انقلابية في الصناعة وعدم التلهي بأي صناعة قبل تسلم زمام رأس الصناعة وجعل الجهود الاقتصادية كلها موجهة لايجاد صناعة الآلات ولا يقام بأي شيء سوى الضروريات وسوى ما لا بد منه لايجاد صناعة الآلات .

على ان الواقع يثبت ذلك فان اوروبا حين حصلت فيها الثورة الصناعية انها حصلت حين وجدت فيها صناعة الآلات وامريكا كذلك كانت مستعمرة لعدة دول لكنها تقدمت ماديا حين حصلت فيها الثورة الصناعية بصناعة الآلات . وان روسيا كذلك لم تصبح دولة ذات قيمة الا بعد ان حصلت فيها الثورة الصناعية بصناعة الآلات .

ان الدولة التي لا تكون فيها صناعة الآلات فان مصانعها

الآخري تصبح مربوطة تبعا للدولة التي تملك الآلة وقطع الغيار فان توقف آلة لعطل بصيبيها يؤدي الى تعطيل المصنع ان لم تتوفر الآلة او قطع الغيار اللازمة كذلك فان معدات الدولة العسكرية تفقد قيمتها ان لم تتمكن الدولة من استيراد قطع الغيار اللازمة لصناعتها، وهذا يجعل سيادة الدولة وامنها وامن رعيته مقيدة، ويبرز أكثر ما يبرز هذا الامر فيما اذا حصلت حالة عداة بين الدولة صاحبة السلاح او صاحبة الآلات وبين الدولة المستودرة لهذا السلاح وهذه الآلات، وقد تحدث حالة حصار لهذه الدولة فتصبح صناعاتها بمجملها الحربية والمدنية شبه متوقفة اذا لم تكن هذه الدولة قادرة على صناعة الآلات فتعالج ذاتيا الآلة المعطلة او قطعه الغيار اللازمة .

وعليه فمن كان يريد ان يبني صناعة ويتقدم صناعيا فلن يتأتى له ذلك ان لم يبدأ بثورة صناعية بالمبادرة الى اقامة صناعة الآلات راسا وبدون تدرج بل بشكل انقلابي حتى يكون العمل ثورة صناعية صحيحة.

هذا بالنسبة لاية دولة واية امة اما بالنسبة للامة الاسلامية ولدولة الخلافة الاسلامية القائمة قريبا باذن الله فان الامر اوجب والشان اعظم لان ايجاد مصانع الآلات واجب شرعي اي فرض على المسلمين، فرض على الدولة وعلى الامة والفرض ينفذ حتما وبلا خيار والا كانت عليه عقوبة ، أما لماذا هو فرض فلما يلي :

١٠ ان عدم وجود مصانع الآلات يجعل جميع المصانع في بلادنا عالة على الدول الآخري المتقدمة في صناعة الآلات الثقيلة فاذا تعطلت الآلة او لزم قطع غيار تعطل المصنع وتوقف عمله

على تزويدنا بذلك من الدول الكافرة المستعمرة وفي هذا ضرر يلحق بالمسلمين ثم ان عدم وجود مصانع الآلات لدى المسلمين يجعل البلاد الاسلامية معتمدة في صناعاتها الحربية كذلك على الدول الاخرى وفي هذا ضرر افطع من الاول وكلاهما يجعل سييلا للكافرين على المسلمين والله يحرم هذا ((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)) .

٥٢ . ان الجهاد هو ذروة سنام الاسلام وهو طريقة رئيسية لنشر الاسلام في الخارج والجهاد قائم على الصناعة الحربية فان كانت تعتمد على الدول الكافرة يكون قد تعطل المعنى المقصود من الجهاد فحتى يتم الجهاد على وجهه لا بد من ان تتوفر الصناعة الثقيلة لانتاج الآلات اللازمة للجهاد هذه واحدة اما الثانية فان الاعداد للقتال فرض على المسلمين والاعداد المطلوب هو ما كان فيه ارهاب للعدو وهذا يحتاج صناعة اسلحة لم يعهدها العدو في القوة والعظمة وان لم يكن هناك صناعة ثقيلة وصناعة الآلات فلا يمكن تحقيق الارهاب ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)) وحيث ان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب تكون الصناعة الثقيلة وايجاد صناعة الآلات واجبة .

ولذلك فان ايجاد المصانع الثقيلة ومصانع الآلات فرض على المسلمين وليس على بيت المال فقط، لهذا ان لم يكف ما في بيت المال لايجاد المصانع الثقيلة فان الدولة تفرض على اغنياء المسلمين ضرائب تقدرها لانتاج المصانع الثقيلة في البلاد .

هذا فضلا عن انه من الناحية التجارية يعتبر التعجيل بايجاد مصانع الالات امرا ضروريا لان الشرق الاوسط كله يكاد يكون خاليا من مصانع الالات وهو يستورد ما يحتاجه من الالات والمصانع من امريكا واوروبا وهو يقبل على انشاء مصانع استهلاكية كثيرة فهو سوق رابحة، فإيجاد صناعة الالات في بلادنا يكسب هذه السوق المفتوحة التي لن يكون لنا مزاحم فيها اذا ما وجدت عندنا صناعة الالات .

وايضا فان شراء المصانع والالات من الخارج يكلفنا ثمنا غاليا وهي تباع لنا باسعار عالية ولكن اذا اوجدنا نحن مصانع الالات خاصة والنفط متوفر في بلادنا فنحصل على المصانع والالات بارخص مما نشتريها من اوروبا وامريكا .

ولكننا ننادي بضرورة صناعة الالات لا لهذه الاسباب وانما لتحقيق سياسة معينة اقتصادية هي جعل بلادنا بلادا صناعية سواء انتج هذا ربحا ام خسارة وسواء وجدت لها اسواق في الخارج ام لم توجد، لان هذا فرض ومن اجله فحسب لا بد من البدء بايجاد صناعة الالات وان يكون هذا البدء ثورة صناعية ويشكل انقلابي .

ان بلادنا مليئة بكل ما يلزم للثورة الصناعية فالمواد الخام متوفرة بشكل يكفي لايجاد هذه الصناعة الثقيلة وقيادة العالم لاسعادهم لا لامتناس ثرواتهم ودمائهم كما تفعله الدول الصناعية الرأسمالية حاليا .

وانه يحسن بنا ان نذكر بعض ما نشر عن المعادن المنقب عنها والموجودة في بعض بلاد المسلمين ، دون ما هو في باطن

الارض من محزون لم ينقب عنه بعد .

الحديد

الكمية	البلد الموجود فيها
(٢٩٨) مليون طن	العراق
(١٤٠) مليون طن	سوريا
(٥٢٥) مليون طن	مصر
(٦٠) مليون طن	السودان
(٩٩٠) مليون طن	المغرب
(٢٥٠٠) مليون طن	موريتانيا
(٧٥) مليون طن	تونس
(٣٥٢٥) مليون طن	ليبيا
(٣٥٢٥) مليون طن	الجزائر

الكبريت

الكمية	البلد الموجود فيها
(٧٠) مليون طن	السعودية
(٩٦) مليون طن	مصر
(٥٠٠) مليون طن	المغرب

الرخااص

الكمية	البلد الموجود فيها
(١٠٧) مليون طن	مصر
واحد مليون طن	الجزائر
(٤٥) مليون طن	المغرب

البوتاس

الكمية	البلد الموجود فيها
(٢٠٠٠) مليون طن	الأردن
(٧٠٥) مليون طن	ليبيا
(٤٠) مليون طن	تونس
(٢٥٠) مليون طن	المغرب

اليورانيوم

الكمية	البلد الموجود فيها
(٢ر٣) طن ((٣٢٠ غرام / طن))	السعودية
(٠ر٠٩) طن ((١٢٥ غرام / طن))	الجزائر
(١ر٦ حد ادنى) طن ((١٣٠ غرام / طن))	المغرب
(٠ر٠١٨) طن ((٣٧ غرام / طن))	موريتانيا
(٠ر١٢٠) طن ((تركيز ١٣٠ غم / طن))	العراق
(٠ر٢٠٠) طن ((١١٠ غرام / طن))	سوريا
(٠ر٣١٠) طن ((٩٥ غرام / طن))	مصر
(٢ر٢) طن ((٨٠٠ غرام / طن))	الصومال
(٠ر٠٥) طن ((٨٠ غرام / طن))	تونس

المنغنيز

الكمية	البلد الموجود فيها
(٧ر٥) مليون طن	سوريا
(٧٠ - ٢٠٠) مليون طن	مصر
(٣٠٠ - ٣٦٠) مليون طن	السودان
(٦٠٠) مليون طن	الجزائر
(٤٢٠٠) مليون طن	المغرب

النحاس

الكمية	البلد الموجود فيها
(١٠٠) مليون طن	الأردن
(٢٨) مليون طن	السعودية
(١١) مليون طن	عمان
واحد مليون طن	مصر
(٩) مليون طن	السودان
(٧) مليون طن	المغرب
(١٩) مليون طن	موزيتانيا

الصخر الزيتي

الكمية	البلد الموجود فيها
(١٠٣٠) مليون طن (١٠٪)	الأردن
(٩٠٠٠٠) مليون طن (٨٥٪)	المغرب

الفوسفات

الكمية	البلد الموجود فيها
(٦٢٤) مليون طن	سوريا
(١٠٣٨) مليون طن	الأردن
(٧٩٥) مليون طن	تونس
(٢٠٥) مليون طن	الجزائر
(١٣١٧٥) مليون طن	المغرب

الزئبق

الكمية	البلد الموجود فيها
(٢ر٥) مليون طن	مصر
(١٥) مليون طن	السعودية
(٢ر٥) مليون طن	تونس
(٨) مليون طن	الجزائر
(١٥) مليون طن	المغرب

المعادن الثمينة

الكمية	البلد الموجود فيها
(١٢٩٠٠) الف طن (٩ ذهب : ٦٠٠ فضة)	السعودية
(٥٤٠) الف طن (١٢ ذهب : فضة)	السودان
(١٨٠٠٠) الف طن (٤٠ ذهب : ١٠٠٠ فضة)	الجزائر
(٩٨٠) الف طن (٣ ذهب : ١١٠٠ فضة)	المغرب
(٥٠٠٠) الف طن (٢٥ ذهب : ٢ فضة)	موريتانيا

كما ان البحر الميت يزخر بكثير من المواد الذائبة في مياهه والتي تدخل في كثير من الصناعات فمثلا يحوي (٢٠٠٠) مليون طن متري من كلوريد البوتاسيوم الذي يستعمل في صنع البارود و (٢٢٠٠٠) مليون طن من كلوريد المغنيسيوم الذي يستعمل في صناعة الطائرات والمعادن وكما ان مادة اساسية في الصناعات الكيماوية و (٩٨٠) مليون طن من بروميد المغنيسيوم الذي يدخل في صناعة القنابل وتكرير واستخراج بنزين الطائرات

هذا عن المواد الخام الموجودة في بعض اجزاء من بلاد المسلمين، اما عن مصادر الطاقة والذي اعظم مصدر لها الان هو البترول فان بلادنا تكاد تحوي معظمه فان نسبة الاحتياطي المثبت للبترول باستثناء ما لم يكتشف حتى الان على النحو التالي :

٢٠٪ الدول الأوروبية الشرقية

١٥٪ أمريكا وأوروبا الغربية

٦٥٪ دول الأوبك

وهذه موزعة على النحو التالي :

٢٢٪ السعودية

٢٩٪ دول الشرق الأوسط الأخرى

١٤٪ باقي دول الأوبك

علما بأن كمية الاحتياطي من البترول المثبت يقارب ال (١٠٠٠) بليون برميل . ولذلك فإن بلادنا غنية بمصدر الطاقة الضروري للصناعة وغنية بالمواد الخام اللازمة وهي كذلك غنية لفنيين والمهنيين مما يجعلها قادرة على ان تكون دولة صناعية تسود العالم بقوتها اذا اخلصت العمل واحسنت التصرف وافرغت الوسع وبذلت الجهد وعلمت ان هذا فرض عليها واي فرض .

ان الغرب يدرك ان تقدم الدولة الصناعي لا يتم بدون البدء بصناعة الآلات وطبقا لوجهه نظرهم الرأسمالية الاستعمارية فانهم يرسمون الخطط لتبقى الدول الأخرى تابعة صناعيا لهم وسوقا لتصريف صناعاتهم ومنطقة نفوذ وهيمنة لهم . ومن الأساليب الخبيثة التي يضعونها لبلادنا كي تبقى متخلفة صناعيا ولا تتمكن من ان تبني نفسها صناعيا ما يلي :

٠١ دراسات وابحاث لايجاد قناعات لاصحاب القرار في بلادنا واعوانهم بان الصناعة تحتاج الى مراحل حتى تكتمل فقد نشر البروفسور (روستو) في كتابه المثير (مراحل التنمية

الاقتصادية) ١٩٦٠ ما يوحي بان المجتمع لا بد ان يمر بمرحلة المجتمع التقليدي ثم مرحلة الانطلاق ثم مرحلة النضوج ثم مرحلة الاستهلاك الشعبي العالي قبل ان يصل الى مرحلة التصنيع الثقيل وكل مرحلة من هذه المراحل وضع لها شروطا تحتاج الى زمن طويل لتكتمل مما يجعل اي دولة تريد ان تبدأ التصنيع الثقيل، يجعلها تسير عقودا قبل ان تصل الى مرحلة التصنيع الثقيل والهدف من هذا الكتاب وامثاله الحيلولة دون الثورة الصناعية فان من يقتنع به يعتقد انه لا بد من المرور بمراحل طويلة وهذا يعني صرف الناس عن الثورة الصناعية .

وهذه الدراسات وامثالها تريد ان تبقي العالم اسواقا للغرب تستهلك ما ينتجه وتحقق مصالحة وهذا ما ذكره صراحة رئيس البنك الدولي للاعمار والانماء السابق السيد يوجين بلاك في كتابه سياسة الانماء الاقتصادي حيث اقترح في كتابه المذكور ان يكون العون الاقتصادي الاداة الرئيسية للحفاظ على فعالية الغرب السياسية والاقتصادية في العالم المتخلف اقتصاديا .

٠٢ عدم السماح بنقل التكنولوجيا الا فيما يمكن البلاد من توريد منتجاتهم واستعمالها فمثلا المكان الذي لا توجد فيه كهرباء لا يمكن ان تباع فيه الثلاجات الكهربائية حتى لو كان فيها من يستطيع شراء الثلاجة لذلك لا بد من تعميم الكهرباء في الدول المتخلفة ولو بقروض من الدول الصناعية ولا بد والحالة هذه من ايجاد المهندسين والفنيين القادرين على تشغيل واستخدام الاجهزة الصناعية التي تنتجها الدول المتقدمة ولذلك فهم لا يمانعون في مثل هذا التعاون العلمي ونقل الخبرة التكنولوجية في مثل هذه

المجالات ولكن ليس لجعل الدول المتخلفة تستوعب التكنولوجيا الى حد يمكنها من اقامة الصناعات الثقيلة .

٠٣ اشغال البلاد في انواع من الصناعات تستنفذ طاقتهم وتهدر وقتهم وتوجد عندهم نوعا من الترف يعدهم عن الجهد والاجتهاد في ايجاد الصناعات الثقيلة او حتى الوسيطة وهذا واضح من هيكل الصناعات في بلادنا الذي يتصف بغلبة الصناعات الاستهلاكية بنسبة ٦١٪ مقابل ٣٩٪ للصناعات الوسيطة والاستثمارية حيث تمثل الصناعات الاستهلاكية في المواد الغذائية والملابس والمنتجات الجلدية وملحقاتها وتمثل الصناعات الوسيطة في عدد محدود من منتجات الصناعات الكيماوية وبخاصة تكرير البترول وتمثل الصناعات الاستثمارية اساسا في الحديد والصلب والالمنيوم، وحتى هذه الصناعات الوسيطة والاستثمارية فهي في معظمها من الصناعات التحويلية كأن تشتري المادة المصنعة اوليا من الخارج ثم يشتري امتياز صنعها هنا من شركة تصنعها في الخارج ثم نصكها نحن هنا كصناعة عدد كبير من الادوية وبعض المعجنات او نشترى المحركات الرئيسية وامتياز الصنع من الشركة الأم ونجمع الانتاج عندنا كما يحدث في صناعة تجميع السيارات.

٠٤ ايجاد نمط جديد للتصنيع في البلاد وهو ما يسمى بالصناعة العابرة التي تتخذ من بلادنا محطة الانتاج فحسب تستفيد ان صح التعبير من المزايا النسبية للبلد المعني وخاصة من خاماته او طاقته او موقعه لانتاج منتجات معدة للتصدير للسوق العالمية وفي هذه الصناعة العابرة تستورد اغلب عناصرها لتعيد

تصديرها وان يكن ذلك بعد ادخال قدر من التصنيع عليها ففي البحرين مثلا توجد شركة للالمنيوم تشترك الحكومة مع مصالح اجنبية متعددة في رأس مالها، وهذه الشركة تستورد المادة الخام من استراليا لتتولى تحويلها في البحرين بفضل الغاز الطبيعي الموجود بوفرة فيها والذي لم يكن بالوسع نقله الا بتكلفة عالية . وهكذا ينتج في البحرين الومنيوم نقي بهدف التصدير الى الخارج، ويكون المقصود منها حصول الدول الاوروبية على مادة الالومنيوم المصنعة بسعر رخيص . وهناك بعض المشاريع امثالها في السعودية.

هذه بعض الخطط والدراسات والمشاريع التي يرسمها الغرب لبلادنا حتى لا تصبح دولا متقدمة صناعيا بعد ان تصرفها عن الصناعة الثقيلة والتي تشمل صناعة الآلات من الحديد والصلب والمحركات وهياكل الطائرات والصناعات الالكترونية والصناعات النووية بما في ذلك الاسلحة وصناعة الفضاء وامثالها ومن الجدير ذكره ان هناك امرين يجب ان يلازما الثورة الصناعية في بلادنا:

١٠ ان التصنيع الحقيقي معناه الثورة على النفوذ الاجنبي فهو لذلك أمر سياسي لا يمكن ان يقام به الا على اساس فكري عقائدي تتبناه قيادة سياسية واعية وهو هنا الاسلام الذي يجب ان تقوم القيادة السياسية بالتكتمل حوله وانهاض الأمة على اساسه فتوحد بلاد المسلمين في دولة خلافة واحدة حتى يتوفر في هذه الدولة الواحدة القوى البشرية اللازمة والمواد الاولية وكذلك مصادر الطاقة. وعليه فان الوحدة بين بلاد المسلمين فوق

كونها فرضا محتما فهي كذلك من ضرورات التصنيع .
٠٢ ان الصناعة يجب ان تقوم على اساس حرني فتكون
الصناعة الحربية هي الهدف الاساس من التصنيع الثقيل فضلا
عن القطاعات الصناعية الاخرى، وبدون الصناعة الحربية تكون
الدولة حتى وإن تقدمت في القطاعات الصناعية الاخرى غير
مؤثرة في المجال الدولي والسياسة العالمية كما هو الحال مع المانيا
واليابان بعد تقييد صناعتها الحربية بعد الحرب العالمية الثانية .
اما في الاسلام فان التصنيع الثقيل لا ينفك عن الصناعة الحربية
فهي اساس لأن هذا من متطلبات الجهاد الذي هو ذروة سنام
الاسلام ولذلك فان دائرة الصناعة في نظام الحكم في الاسلام
تكون تابعة لأمير الجهاد.

بعد ان بينا كيف يمكن ان تبني الدولة صناعيا وانه يجب
ان يكون على اساس البدء بالصناعة الثقيلة فانه قد يرد سؤال
وهو اذا كانت السياسة الصناعية هي جعل البلاد بلادا صناعية
أي حصر الجهد في أول الامر بأيجاد صناعة الالات والانتظار
حتى توجد الالات فتوجد منها باقي الصناعات فإذا نفعل بما
عندنا من صناعات استهلاكية وماذا نعمل في الصناعات التي
تحتم السياسة الصناعية ان تكون ملكا للدولة كأستخراج النفط
مثلا ؟.

والجواب على ذلك هو ان البلاد الاسلامية في جملتها
ليست بلدا مصنعا فليس فيها واحدة من الصناعات الثقيلة او
الكبيرة او التي تستقطب طائفة من الصناعات ذات الحلقات
المتصلة باستثناء بعض الحلقات البسيطة المتفرقة هنا وهناك .

وجل ما في البلاد الاسلامية في جملتها حتى الان من
الصناعات الحديثة البارزة هي صناعات استهلاكية وهذه تظل كما
هي ولكن لا تسير فيها شوطا اكبر ولا تنشئ غيرها بل يجب
التوقف عند حد ما هو موجود وتغيير الطريق تغييرا فجائيا
وحصره بالاتجاه لايجاد صناعة الالات ولكن ليس معنى تغيير
الطريق هو قفل باب الاستيراد فان هذا لا يجوز حسب سياسة
الاقتصاد في الاسلام لان لرعايا الدولة ان يشتروا ما يريدون من
داخل البلاد وخارجها باستثناء ما يلحق ضررا بالامة، بل معنى
تغيير الطريق هو ايجاد صناعة الالات وجعلها كأرض مصانع
الالات وحينئذ يحصل الشراء منها ولا يحصل الاستيراد طبيعيا
بشكل تجاري من غير حاجة لأن تمنعه الدولة .

اما الصناعات التي تحتم السياسة الاقتصادية ملكية
الدولة لها فأنها لا تحتم وجوب ملكيتها ولكنها تمنع الافراد من
ملكيتها فصناعة استخراج الحديد هي من الصناعات التي تملكها
الدولة لانها من الملكية العامة ولكن ليس معنى ملكيتها ان
تشتري الدولة مصانع لاستخراج الحديد بل معناه ان هذه
المصانع لا يملكها الافراد وان الدولة تملكها حين تجد امكانية
لملكها وحسب السياسة الاقتصادية في الاسلام فلا تنشئ الدولة
مصانع مما هو من ملكيتها إلا ما لا بد منه لايجاد مصانع الالات.
وهكذا فان ما عندنا من مصانع استخراج النفط ومصانع تصفيته
ومصانع استخراج غيره من المعادن ومصانع استخراج البوتاس
والفوسفات وما شاكل ذلك كل ذلك، يجب الاستمرار فيه
ولكن دون التوسع في ذلك ودون انشاء جديد، بل نتظر في ما

لم يستخرج بالفعل الى ان نصنع نحن الالات وحينئذ نقوم باستخراج المعادن والنفط من المناجم الجديدة والآبار بآلاتنا التي صنعناها نحن .

بقي امر مهم لا بد من توضيحه فان المصنع بوصفه اله للانتاج هل يملك ملكية فردية او يكون ملكية عامة ؟ .

والجواب على ذلك ان الاصل في المصانع هو ان تكون ملكية فردية فالرسول صلى الله عليه وسلم استصنع خاتما واستصنع المنبر واستصنعها عند من يملك المصنع ملكية فردية وكان الناس يستصنعون ايام الرسول وسكت عنهم مما يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم اقر الملكية الفردية للمصنع .

غير ان الصناعة - اية صناعة - تأخذ حكم ما يجري صنعه فالرسول صلى الله عليه وسلم حرم عصر الخمر وهو صناعة كما قيل في الحديث علما بأن صناعة العصر مباحة سواء كانت عصر عنب او برتقال او تفاح او غير ذلك لأن الصناعة من حيث هي مباحة ومنها صناعة العصر فتدخل في عموم اباحة الصناعات فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وحرم صناعة عصر الخمر وتحريمها هنا لأنها عصر ينتج خمرا، وهذا يعني اعطاء الصناعة حكم ما تنتجه وهو عام في كل صناعة فتصنيع الحشيش والافيون وما شاكلها حرام لأن هذه الاشياء محرمة وصناعة التماثيل حرام لان التماثيل حرام وصناعة الصليب حرام لان اتخاذ الصليب حرام وهكذا أي ان الصناعة تأخذ حكم ما تنتجه وما تصنعه فتصنيع ما هو من الملكية العامة لا يجوز ان يقوم به الافراد لان ما هو من الملكية العامة لا يجوز ان يمتلكه الافراد .

وعلى ذلك ينظر في المصانع فإن كانت المواد التي تصنع فيها ليست من المواد الداخلة في الملكية العامة ولا هي مواد محرمة ولا تنتج مواد محرمة فإن المصانع في هذه الحالات تبقى على أصلها أملا كما فرديا مثل مصانع الحلويات والنسيج والسيارات وما شابهها ، وأما ان كانت غير ذلك كالمصانع التي تكون المواد الداخلة فيها من الملكية العامة فإنها تكون ملكا عاما ويمنع الافراد من ملكيتها كمصانع استخراج النفط ومصانع استخراج الحديد ومصانع استخراج الذهب وامثالها .

ولقد حدد الشرع اموال الملكية العامة تحديدا واضحا لا لبس فيه بنصوص شرعية ومن استقرائها يتبين ان هذه الملكية العامة محصورة في :

٠١ المعادن التي لا تنقطع سواء المعادن الظاهرة التي يتوصل لها من غير مؤونة كالكحل والملح والياقوت او كان من المعادن الباطنة التي لا يوصل اليها الا بالعمل والمؤونة كمعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص وسواء كانت جامدة كالبلور او سائلة كالنفط والزئبق .

٠٢ الاشياء التي طبيعة تكوينها تمنع اختصاص الفرد بجزائها كالبحار والانهار والبحيرات والاقنية العامة وكذلك المساجد ومدارس الدولة ومستشفياتها وملاعب الدولة وملاجئها ونحوها كل ذلك ملكية عامة لجميع افراد الرعية في الدولة الاسلامية .

٠٣ مرافق الجماعة كالماء الذي للجماعة حاجة فيه ومراعي الماشية واحراش الاحتطاب كمصادر للنار والوقود .

ومعنى الملكية العامة انه يوزع عينا او خدمات على رعية الدولة لأنه ملكهم وتنوب الدولة عنهم في استخراجها واستغلاله وتوزع صافي ارباحه عليهم عينا او خدمات وهذه الملكية العامة محددة في الاسلام لا يجوز للافراد ان يمتلكوها ولا ان يمتلكوا المصانع التي تستخرجها او تكون هي مادة عملها .

ولا يجوز في الاسلام نقل ملكية فردية الى ملكية دولة او الى ملكية عامة ولذلك فان ما يسمى بالتأميم حرام لأنه تحويل الملكية الفردية الى ملكية عامة اذا رأت الدولة ان هناك مصلحة تقتضي ذلك لان الأمر ليس متعلقا بما تراه الدولة بل بما يراه الشرع فان جاء الشرع بان هذا المال من الملكية العامة كمصانع استخراج الحديد مثلا فالدولة غير مخيرة بتحويله الى ملكية عامة بل مجبرة على الاستيلاء عليه لانه ملكية عامة حسب نص الشرع ولا يحل لها ان تتركه ملكية فردية لأحد ولا ان تعطي امتيازها لأحد وتطبيق ذلك على المصانع التي توجد هذه الايام يتبين لنا ما يلي :

١٠ جميع مصانع استخراج المعادن ملكية عامة وبناء عليه تكون مصانع استخراج النفط ومصانع تصفيته ملكية عامة وكذلك تكون مصانع استخراج الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص وغيرها من المعادن ومصانع تحويل هذه المعادن بعد ان يتم استخراجها الى مواد قابلة للأستعمال كمصانع صهرها وتحويلها من مادة خام الى مادة قابلة للأستعمال هي ملكية عامة .

وأما المصانع القائمة على هذه المعادن بعد تحويلها من مادة

خام الى مادة اولية قابلة للأستعمال فانها ملكية فردية مثل مصانع تقطيع الحديد ومصانع سبك الذهب ومصانع السيارات والطائرات ومصانع الآلات فانها كلها يجوز للأفراد ان يمتلكوها لأنها معادن معدة للأستعمال لا للاستخراج فلا ينطبق عليها حكم الملكية العامة.

١٢ كل آلة تستعمل فيها هو من مرافق الجماعة تأخذ حكمة أي تكون ملكية عامة، فألات توليد الكهرباء من اجل ان تستعمل كوقود كأستعمالها في الطبخ وتدوير الآلات وصهر المعادن والتدفئة كل هذه تكون ملكية عامة لان حديث (الناس شركاء في ثلاث الماء والكأ والنار) ينطبق عليها لان واقعها هنا انها للوقود فتدخل تحت كلمة النار المذكورة . وأما ان كانت الكهرباء للأتارة فتكون ملكية فردية كذلك فان مصانع الكبريت ملكية عامة لان الكبريت نار وهكذا مصانع الفحم الحجري . وكذلك مصانع الصناعات المتولدة عن النفط كالصناعات البتروكيمياوية وصناعة الغاز الطبيعي فانها ملكية عامة .

١٣ القطارات والترام ملكية عامة لانها تحتجز جزءاً دائماً من الطريق (الخط الحديدي) وكذلك الترام والترولي والمترو لاحتجازها جزء من الملكية العامة (وهو السلك الكهربائي العلوي الذي تسير بواسطته) اما باقي سائر المواصلات كالسيارات والطائرات فيجوز ملكيتها الفردية لأنها لا تحمي من الطريق شيئاً دائماً . وهكذا فمصانع السيارات والطائرات يجوز امتلاكها فردياً واما مصانع القطارات والترام والترولي التي تسير في الطرق العامة فانها يجب ان تكون ملكية عامة . وكذلك

انابيب المياه والمجاري التي تمتد في الطرق العامة، فإن هذه تكون ملكية عامة ومصانعها كذلك .

٥٤ . جميع المصانع التي يلحق ضرر من امتلاكها فرديا يمنع الافراد من ملكيتها وتمتلكها الدولة منعا للضرر كما في الحديث (لا ضرر ولا ضرار) وذلك مثل مصانع الاسلحة الكيماوية والنوية ومصانع الاسلحة الاستراتيجية الثقيلة التي يلحق امتلاكها الفردي ضررا بالامة .

مما سبق يتبين ان الشرع قد عالج الصناعة من حيث سياسة التصنيع وبناء الدولة صناعيا وكيفية ملكية المصانع . وحددها باحكام شرعية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير وتضمن للدولة عند تطبيقها القوة والمنعة .

ايها الأخوة

هذه هي سياسة الصناعة في الإسلام وقد يسأل سائل فيقول ما دامت هذه هي سياسة الصناعة وانها فرض وواجب على المسلمين تنفيذه فهل طبق المسلمون هذه السياسة عندما كانت لهم دولة تتبنى الاسلام عقيدة ونظاما ؟ .

كما قلنا فان سياسة التصنيع هذه فرض في الاسلام والفرض واجب التنفيذ ولذلك فان الدولة الاسلامية قد طبقت ذلك قبل ان يقضي عليها المتآمرون بعد الحرب العالمية الاولى ، ونقول طبقت حتى بدون ان نذكر الواقع الصناعي الذي كان في دولة الخلافة الاسلامية لأن سياسة التصنيع هذه فرض على الدولة وعلى الامة . ومع ذلك فأني سأذكر ثلاثة أمثلة على قوة صناعة الدولة الاسلامية ، في عصرها الاول ووسطه وآخره :

٠١ هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة واقام الدولة الاسلامية هناك وعلى الرغم من ان السلاح كان بسيطاً ويمكن شراؤه الا ان الرسول لم يكتف بذلك فارسل اثنين من المسلمين الى جرش اليمن يتعلمان صناعة الاسلحة ثم بعد ذلك نقلها الى الدولة الاسلامية وما ان دخلت السنة الثامنة للهجرة حتى تمكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه من استعمال المنجنيق في ذلك اسوار الطائف عند فتحها وقد كان هذا السلاح يعتبر حينها من الصناعات الحربية الثقيلة تعلمه المسلمون وانتجوه.

٠٢ في زمن هارون الرشيد في الدولة الاسلامية العباسية اهدى ساعة الى شارلمان اشهر ملوك اوروبا في حينه فلما صارت الساعة تدق في ديوان شارلمان ظنت حاشيته ان في الساعة عفاريت وهرب بعضهم ، هكذا كان حال صناعة المسلمين وهكذا كان حال باقي الامم .

٠٣ في زمن محمد الفاتح في الدولة الاسلامية العثمانية ، قام احد المخترعين الحرييين بعرض اختراعاته الحربية على ملوك اوروبا فلم يبالوا بها بل واعتبرها الباطل ورجال الدين عندهم هرطقات فعلم به محمد الفاتح فاهتم بالامر واكمه وسخى عليه بالمال لتنمية صناعاته فقام بتصميم المدافع الضخمة ومن ابرزها ذلك المدفع العملاق الذي يزن (٧٠٠) طن ووزن قذيفته ١٢ الف رطل ويحرقه مئة ثور يساعدها مئة رجل شديد وكان دوي انفجاره يسمع على بعد (١٣) ميلا كما ان قذيفته كانت تنطلق بعيدا لمسافة ميل واحد ثم تنفج في الارض ستة اقدام . وقد

استعمل هذا المدفع في ذلك اسوار القسطنطينية عند فتحها
من قبل محمد الفاتح .

ايها الاخوة

لقد كان المسلمون يخططون وينفذون لتكون صناعتهم في
المقدمة، تتبعها الدول الاخرى لا ان تتبع هي وتفيد بصناعات
الدول الاخرى، لقد كانت تتعهد ارباب الصناعة ليس فقط ممن
هم من رعيته بل لو علمت باحد العلماء من الخارج استدعته
وتعهدته كما تفعل الدول المتقدمة صناعيا الان . وبقي هذا حال
الدولة الاسلامية حتى ضعف الاسلام في النفوس وتآمر عليها
المتآمرون وقضي على الخلافة بعد الحرب العالمية الاولى .

بعدها اصبحت الدول الكافرة المستعمرة ترسم لنا اساليب
خبيثة تحول بيننا وبين ان نصبح بلدا صناعيا لتبقى لهم في بلادنا
الهيمنة والنفوذ، وقد تمكنوا من ايجاد بعض الحكام في بلاد
المسلمين وبعض اصحاب رؤوس الاموال يتوجهون في صناعاتهم
وسياساتهم ، بتوجهات الدول الغربية التي تحاول منع دول العالم
الثالث وبخاصة البلاد الاسلامية من ادخال التصنيع الثقيل كي
تبقى هذه الدول تابعة لها فتستثمر مصادرها الاولى وتبقيها سوقا
لتصريف منتجاتها بدل ان تتحول الى منافس لها .

ايها الاخوة

انه اذا كان حكام البلاد الاسلامية الان قانعين بالتبعية
لدول الغرب في السياسة والتشريع والاقتصاد والتصنيع وسائر
الامور، فان دولة الخلافة الاسلامية عند قيامها ستعمل ليس
لترك التبعية فقط بل لتكون هي الدولة الاولى المؤثرة في العالم

وادخال التصنيع الثقيل وباقصى سرعة ممكنة وسيكون من اولويات اعمال الدولة الا ان هذا لا يعني اهمال سياسة الصناعة هذه وتاخيرها الى ما بعد قيام الخلافة فان اقامة الحكم بما انزل الله في بلد صناعي سيضيف قوة الى قوة وسيختصر الوقت اللازم للانتهاء من التصنيع الثقيل في دولة الخلافة باذن الله .

ولهذا فهذه دعوة موجهة لكل مخلص غيور على امته قادر على المساهمة في تصنيع هذه الامة لتلحق بالدول المتقدمة عليها صناعيا، دعوة لكل هؤلاء وغيرهم ممن لهم علاقة، حكاما ومحكومين، دعوة لكل من اعطاه الله قدرة علمية او قدرة تكنولوجية ، وقدرة توجيهية يمكن ان تفيد في اي حقل من حقول الصناعة التي تحتاج اليها البلاد الاسلامية، دعوة لكل هؤلاء للعمل لا أقول بسرعة بل باقصى سرعة لوضع البلاد على طريق التصنيع الثقيل .

اننا ندرك ايها الاخوة ان الدول الكافرة المستعمرة وعملاءها الذين زرعتهم في بلادنا فحملوا افكارها وثقافتها، سيبدلون الجهد الجهيد لمنعنا من هذا الامر لكن أمة حية كالأمة الاسلامية لن يعجزها ذلك ان اخلصت لله العمل واعطت من جهدها وعرقها ما يتناسب والمكانة التي ارتضاها الله لها " كتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله "

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .